

البحث اللساني العرفاني في فهم الاشتغال الذهني للغة مقاربة لسانية عرفانية.

*خلوفي قدور

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله (الجزائر)، kaddourkheloufi097@gmail.com

النشر: 2024/10/25.

القبول: 2024/06/02

الإرسال: 2023/09/15

الملخص:

تروم هذه الورقة البحثية إلى تقديم منظور لساني/عرفاني يسعى إلى استثمار معطيات النظرية اللسانية العرفانية في فهم الأساليب النسقية و سيروراتها الدلالية العرفانية ؛ و لذلك فإن سر قدرة اللغة في السيطرة على العالم الدلالي العرفاني: إنها مرتبط أساسا بالحركية الذهنية و بالمحيط السوسيوثقافي لدى الفرد ، أي بالنسق التصوري التجريبي الذي يؤطر الممارسات اللسانية الساعية إلى فهم الاشتغال الذهني للغة. كما أن المعنى من المنظور العرفاني التجريبي يمثل تصورا مُبنيًا في ذهن البشري الذي لا يمكن تصويره بمعزل عن المحيط النفسي و الثقافي الذي يتفاعل معه الفرد في رسم حقول دلالية عرفانية.

الكلمات المفتاحية: العرفان ، اللسانيات البيولوجية ، نسق تصوري ، الفصوص الدماغية ، الاستعارة التصورية.

The Search cognitive linguistic in understanding mental operation of language Approach cognitive linguistic.

Abstract:

* المؤلف المرسل.

This study aims to present a linguistic/cognitive perspective that seeks to invest the data of cognitive linguistic theory in understanding systematicity techniques and their cognitive semantics. Therefore the secrets of language's ability to control the semantic world are linked, essentially, to mental mobility and socio-cultural environment of the individual, that is the experimental conceptual system that frames linguistic practices seeking to understand the mental of language. Also, the meaning is from cognitive experiential represents a concept structured in the human mind which cannot be imagined in isolation from the psychological and cultural surrounding with which the individual interacts in drawing cognitive semantics fields.

Key words:

Cognitive, biolinguistics, system conceptual, lobs, conceptual metaphor.

1-مقدمة: إن هذه الورقة البحثية المتواضعة تنحو نحو تقديم قراءة في بعض الفرضيات التي تبحث عن طبيعة وجود تفاعل دائم بين اللغة و العمليات الذهنية للعقل البشري؛ كما تكشف عن دور اللسانيات العصبية في فهم المكونات الذهنية التصورية في توجيه حركية الذهن و مدى ارتباط كل ذلك باللسانيات العرفانية و العلوم البيولوجية للغة عبر منظومة الجينوم. إذن ، نحن أمام كم هائل من الأسئلة مفادها: كيف تتم عملية الإدراك اللغوي لعالم الدلالة المتحركة والمتغيرة؟ وهل لللسانيات العرفانية دور في البحث عن الآليات الفيزيولوجية و العصبية التي من خلالها يتم فهم الاشتغال الذهني للغة؟ ما علاقة اللسانيات العرفانية بالعلوم العرفانية؟ هل ثمة روابط علمية بين المنظومة الجينية و المنظومة اللغوية؟ ما مدى مساهمة اللسانيات البيولوجية في تحديد الخصائص الرئيسية للغة؟ ما علاقة الاستعارة التصورية باللسانيات العرفانية العصبية؟ كل هذه التساؤلات و غيرها سنتناولها بالمساءلة و التحليل بعيدا عن التوقعات المفترضة و المفهومات الذهنية المجردة.

2. قراءة في الأطر العامة لللسانيات العرفانية و أسسها المنهجية:

1-2- مفهوم اللسانيات العرفانية The cognitive linguistics

تشير المعطيات التاريخية المدونة أن ثمة بعض النظريات العلمية و اللسانية ؛ كنظرية الاتصال الرياضية لشانون C.Shannon و ووفر W.Weaver 1949، و نظرية تمثيل المعلومات Information Processing theory لنيول Newell و سيمون Simon 1959 التي تقضي بوجود نوعان من الذكاء عند الإنسان ؛ و ما قدمه تلامذة تشومسكي من إسهامات لسانية عرفانية ، و ما صكه بنجامين بابر B.beber كمصطلح MCworld ليشير إلى أن حاسوب ماكينتوش Makintosh أصبح معيارا للفكر والعقل ، ثم الاعتراف بالشروط الذي قطعه علم الذكاء الاصطناعي Intelligence artificiel في محاولة لاختراق بنية الثقافة العالمية بأساليب وآليات جديدة توافق ظروف و مقتضيات الواقع ، كل هذا و غيره قد تضمن البذرة الجينية الأولى للسانيات العرفانية التي بدأت تتخذ لنفسها مسارات مختلفة و هي تجعل من اللغة قاعدة أساسية في تكوين الموجودات و الأشياء بواسطة العقل و الإدراك ؛ و في هذا السياق أشار عبد الرحمان طعمة و هو يتحدث عن فلسفة اللسانيات العرفانية التي اتخذت "اللغة قاعدة بوصفها قدرة ذهنية مركزية في محيط الإدراك و ما يرتبط بها من علامات و ترميز و تشفير و تعبير و تفكير.. الخ" (1).

فاللغة تعلو على كونها مجرد وسيلة أو أداة لتبادل المعلومات الصحيحة ، بل هي نظام متعدد الأوجه تأخذ قيمتها و بنيتها الرمزية Symbolic structure من الأنظمة المكونة لها التي تعكس تعامل الفكر الجديد و تفاعلاته في الفهم و التأويل ؛ و هذان الأخيران في مفهوم اللسانيات العرفانية هما اللذان يعطيان للكلمة أو الجملة أو النص إنتاجا دلاليا عرفانيا جديدا يحمل بعدا شموليا يتحدد من خلال إعمال العقل و تمثلاته الذهنية ؛ و لذلك يسميها بعض الباحثين المعاصرين بأنها "علم يبني بوصف بأنه تيار أو حركة لسانية تقع ضمن سداسي العلوم العرفانية التي تنادي بتكامل أبحاثها من أجل خلق براديم لساني قادر على مقارنة و فهم كيفية اشتغال الذهن البشري و سيروراته ، و تعتبر اللسانيات العرفانية اللغة قدرة مركزية في الذهن ، و أن هذا الأخير مجمل على المقولة" (2).

فالإنسان ، إذن ، يعتمد بشكل أساسي على اللغة في تشكيل وعيه بالعالم والوجود ، لاستيفاء ما يقد عليه من مناهج و معارف و إعادة بلورتها و تشكيلها بواسطة العقل و أنشطته . فالفكر اللساني العرفاني يرفض محاولات الاعتماد على أدوات نسقية التي تعود بالأساس إلى الاستعمالات التركيبية و المفرداتية و المعجمية لنظام اللغة ، بل ينحو نحو البحث عن أدوات سياقية تتعلق بالفهم العميق و الوعي بالظروف المحيطة بالدلالة و كيفية اشتغال الذهن البشري في ملاحقة المعنى الباطن Connotative meaning الذي يقدم بُعداً أعمق و أشمل من المعطى المباشر .

إذن ، لا مناص من الإقرار بأن اللسانيات العرفانية "تمثل تياراً لسانياً حديث النشأة ، يقوم على دراسة العلاقة بين اللغة البشرية و الذهن و التجربة ، بما فيها الاجتماعي و المادي و البيئي ، أي العلاقة بين اللغة+الذهن+التجربة (الاجتماعية و المادية و البيئية)" (3). والجدير بالذكر أنه قد تغيرت الصورة تماماً في الفترة الأخيرة ، بحيث التفت الدرس اللساني العرفاني إلى كيفية اشتغال الدماغ Brain و قدرته على الربط بين مختلف المتناقضات و الاختلافات مقابل ما يعرفه الواقع من ديناميكية في رسم الإطار الإحالي الصحيح للدلالات و المعاني . ولذلك اعتبرت اللسانيات العرفانية الدماغ "أرضية لكل المعلومات العرفانية التي تعالج اللغة فيها و غيرها . فالعرفانية توجه يُفسر العمليات العقلية لتحقيق التواصل و بيان الآلة التي يقوم عليها التواصل ، فتعالج كل ما يأتيها من معرفة داخلها لتخرج لنا بنتيجة هي خلاصة هذه المعالجة . إن طبيعة المخ أنه آلة تقوم بمعالجة المعلومة ، و ما يخرج المخ هو نتيجة معالجته للمعلومة ، هذا هو مفهوم العرفانية الجديد" (4).

2-2- الأسس الإجرائية للسانيات العرفانية:

ترتكز اللسانيات العرفانية على مبدئين أساسيين يصنعان توازنها المطلوب في الكشف عن التمثيلات الذهنية التي تشتغل على بنية اللغة الدالة التي تتعالق مع قواعد الاسقاط الدلالي الذي يشكل حقلاً دلالياً أو عرفانياً واحداً ، و هذه المبادئ الأساسية هي :

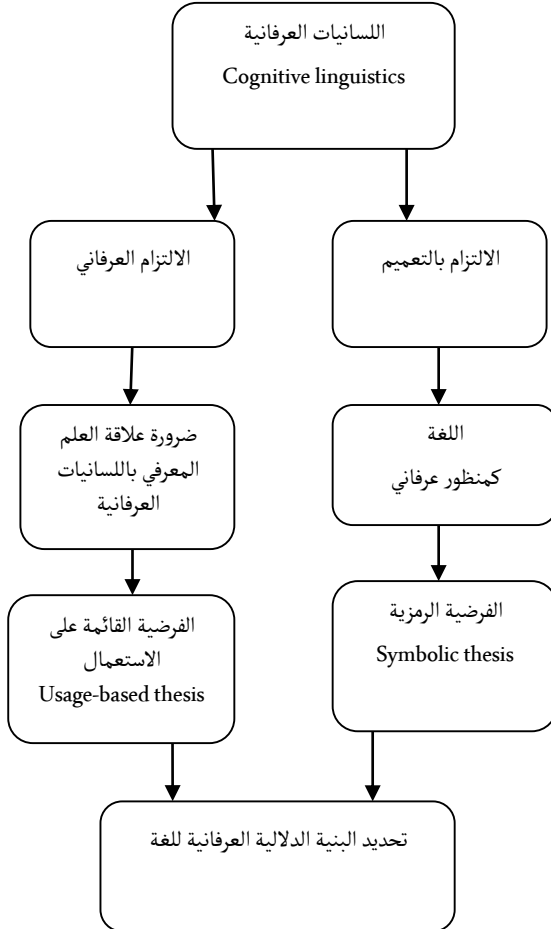
أ- **الالتزام بالتعميم:** وهو التزام لا يتأسس على طبيعة الممارسة اللغوية وعلاقتها بكافة مستوياتها النسقية و التركيبية و المفرداتية و الدلالية و السياقية فحسب ، بل على مستوى الأطر العامة التي تنشئها اللغة مع البنية الذهنية التي هي نتاج المعرفة الجديدة ؛ يقول الزناد في هذا السياق: "و ليس لهذا المبدأ صلة مباشرة بالتعميم المعهود من سعي إلى إدراك الخصائص الكلية. فمما ترفضه اللسانيات العرفانية تناول اللغة على أنها منظومات مستقلة بعضها عن بعض (صوتي ، صرفي ، تركيب ، دلالي ، معجمي ، تداولي) و بدلا من ذلك تسعى إلى دراستها جميعا في تفاعلها و تكاملها و اشتغالها معا ، ببيان انبثاقها من الأرضية العرفانية العامة و تفاعلها معها" (5).

إذن ، فالتحليل اللساني العرفاني للوحدات اللغوية ليس مرتبط بالنسق البنيوي للغة في بعده الشكلي فحسب ، بل يادراك حلقات الربط الموجودة بين المستوى التجريدي و المستوى العملي معا من خلال عمليات البناء الذهني.

ب- **الالتزام العرفاني:** و التزام بتوفير توصيف للمبادئ العامة التي تتفق مع ما هو معروف عن العقل و الماغ من التخصصات الأخرى (6) ؛ أو كما عرفن الزناد بأنه: "السعي إلى إقامة حقائق لغوية توافق الحقائق العرفانية الثابتة في سائر العلوم العرفانية ، و يندرج هذا الالتزام اندراجا طبيعيا في الالتزام السابق ، إذ لا يستقيم تعميم في شأن اللغة ما لم يستقيم من زاوية عرفانية عامة" (7).

فمقدرة إدراك الشيء و الدراية به عبر تسميته متوقف على مدى تطابق هذا الإجراء بالعلوم العرفانية Cognitive Sciences التي تعمل كروافد مهمة في تحديد الدلالة العرفانية Cognitive Semantics من جهة و تحديد منظومة الذهن Modularity of mind البشري في بعده البيولوجي و تجلياته النفسية و انعكاساته اللغوية من جهة أخرى "لأن عمليات البناء الذهني هي الآليات التي تصنع اللغة و تخطط و تفكر باللغة تلقائيا و إنتاجا و اكتسابا فلا وجود

للغة بدون جهاز عصبي" (8). مما يعني أن هذه المبادئ التي تؤسس للسانيات العرفانية تختار لنفسها الأشكال التالية:



إذن ، هذه المراحل العملية العرفانية القائمة على أساس الوظيفة العلائقية التي تنشئها اللغة مع ما يملكه العقل البشري من قدرات على الإدراك و التفسير و التخطيط أسهمت كثيرا

في بيان ذلك التكامل بين اللسانيات العرفانية العصبية و لإشكالية اللغة كأبنية عميقة و نظام فطري عالمي.

3-التفسير العلمي للنموذج اللغوي

3-1-الاشتغال الذهني للغة : The mental functioning of language

يطرح عبد الرحمان طعمة و هو أحد الباحثين اللسانيين المعاصرين مفهومه عن النموذج اللغوي بدلا من الظاهرة اللغوية ، و هو مفهوم يؤكد على أهمية الأخذ بالمنهج العلمية لأن دراسة النموذج اللغوي و فهم أنظمتها المخلفة يرتد إلى البنية المعرفية العامة المتحكمة في نمطية و حركية التفسير و الاستقراء و التحليل للمنظومة اللغوية ، ولذلك "أهم ما يصبو إليه النموذج اللغوي أن يكون ذا بنية معرفية مؤسسة تجريبيا ، فما يميز القوالب العلمية أنها تناسب استقرائيا حيث تستنج الحقائق العامة من الملاحظات و التجارب الخاصة ، مما يسمح بضبط عليا الظواهر اللغوية و التنبؤ بما يمكن أن تؤول إليه" (9).

إن هذا التأسيس العلمي للظاهرة اللغوية (النموذج اللغوي) في علاقتها بالبنية المعرفية التي هي مجرد استجابات لتنبيهات خارجية في الواقع ؛ إنما هو إجراء تحليلي لبنية المنظومة اللغوية يفسر من خلالها الظواهر البيولوجية و العصبية للغة ؛ و قبل أن نتوقف عند التركيب الذهني المعقد الذي يحدد طبيعة المدركات اللغوية و كيفية اشتغال الذهن على عقد اصطلاحات جديدة للتعبير عن الدلالات المرادة. لابد من الإشارة إلى نقطة مهمة ألا و هي كيف يستجيب الذهن البشري إلى المنبهات الخارجية ويقولها في قالب لغوي؟ وما هي هذه الأجزاء الدماغية المسؤولة عن اللغة ؟ و كيف تتم عملية إنتاج اللغة Language Production ؟.

3-2-أجزاء الدماغ المسؤولة عن اللغة:

"لو نظرنا إلى الدماغ نظرة أفقية ألفناه مقسما إلى قسمين أو جانبيين أو نصفين هما: الجانب الأيمن Right hemisphere و الجانب الأيسر Left hemisphere يقابل كل منها

الآخر ويساويه في شكله و حجمه كصورة الشيء في المرآة فكل منهما يشبه قشرة الجوز ويشكل تطابقهما صورة تشبه حبة الجوز الكاملة "⁽¹⁰⁾. و يحتوي كل نصف على أربعة فصوص Lobs يفصل بعضهما عن البعض الآخر أخدودان أو شقان: هما رولاندو Rolando fissure وشق سيلفيسوس Sylvius fissure لكنها تتصل ببعضها بواسطة مسالك أو قنوات Tracts والفصوص الأربعة هي"⁽¹¹⁾ :

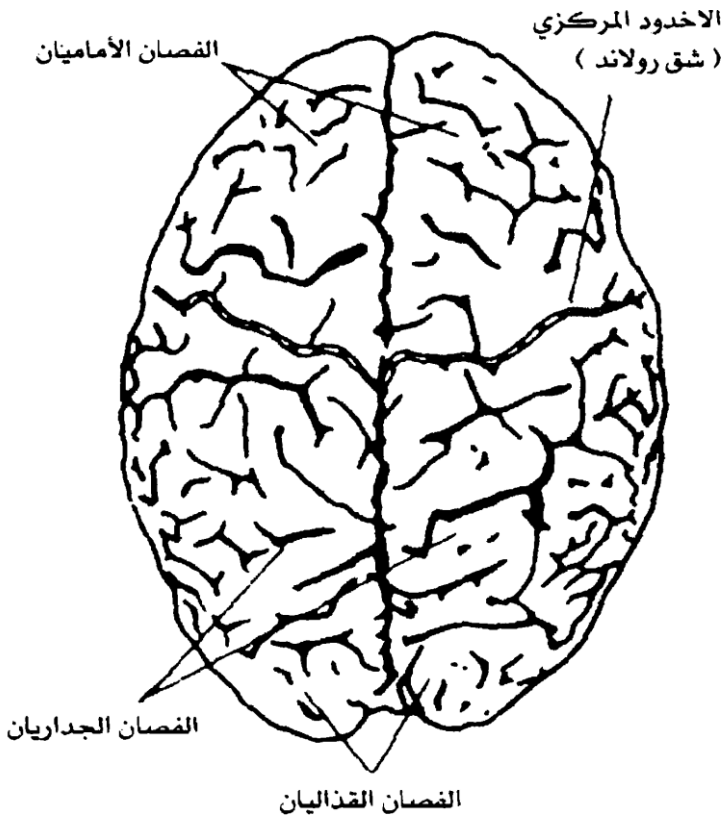
1-الفص الأمامي أو الجبهي The frontal lobes: يقع هذا الفص في الجزء الأمامي من الدماغ و خلف الجبهة المباشرة ، ويفصله عن الجزء الخلفي من الدماغ شق رولاندو ، كما يفصله عن الجزء الأسفل شق سيلفيسوس ، و توجد في هذا الفص مراكز تقع في أسفله تلافيف مرتبطة بالمراكز الخاصة بأعضاء الحنجرة و البلعوم و الفم ، و هي منطقة الحركة المعروفة بمنطقة بروكا Broca's Area المسؤولة عن الكلام و برمجة و إنتاجه و لهذا الفص أيضا أهمية كبيرة من الناحية المعرفية

2-الفص الجداري The Parietal lobe : يقع هذا الفص في أعلى الجزء الخلفي من الدماغ بين شقي رولاندو و سيلفيسوس و الفص القفوي القذالي ؛ و يحتوي على مقدمة قشرة الإحساس Primary somesthetic cortex المسؤولة عن الإحساس العام للجسد ، كالشعور بالبرد والبرودة و الألم وغيرها ويحتوي هذا الفص على منطقة مهمة من مناطق اللغة تعرف بالتلفيف الزاوي Angular gurus الواقع في ملتقى كل الفصوص الثلاثة ، الجداري و الصدغي و القذالي و مهمته ربط المعلومات بين هذه الفصوص الثلاثة.

3-الفص الصدغي The temporal lob : وهو فص مُخي تحت شقي رولاندو و سيلفيسوس و تمتد إلى الخلف حتى الفص القفوي ، لكنه مفصول عن الفص الأمامي شق سيلفيسوس و مفصول عن الفص القذالي بخطوط مختلطة ، و فيه ساحة سمعية تسمى قشرة السمع Primary auditory cortex و يحتوي على منطقة اللغة المعروفة بمنطقة فرنكي Wernicke's Area المسؤولة عن تخزين الكلام المسموع و ترجمته و فهمه.

4-الفص القفوي القذالي The Occipital lobe: و أصغر هذه الفصوص ، و يقع في الجهة

السفلى من مؤخرة الدماغ ، ومفصول عن الفصين الجداري و الصدغي بخط عشوائي وهو مركز للإبصار The visual cortex التي تعالج المعلومات البصرية و الفصوص الأربعة موضحة في الشكل التالي:



و تؤكد اللسانيات العرفانية العصبية أن هذه الفصوص الدماغية هي من أهم المواقع الدماغية التي تتكفل بإنتاج اللغة ، و يمكن اعتبارها أعضاء ذهنية منتظمة وفق برنامج جيني يحدد وظائفها و أبنيتها و نموها.

و لقد أضاءت البحوث العلمية أن اشتغال الذهن لا يكون إلا وفق قوالب محددة ، و كل قالب له خصوصيته و نظامه و وظيفته على حد تقدير تشومسكي الذي يرى أن الذهن البشري يحتوي على ملكات (كالملكة الرمزية و المنطقية و اللغوية و الإدراك) و كل ملكة تنفرد بقالب ينماز بدوره الخاص و بخصوصيات و مميزات عناصره الوظيفية ؛ ولذلك "من الجدير بالملاحظة هنا أن القالبية ربما تنطوي عليها كل مستوى أحيائي للوصف ، و من تلك المستويات ، على سبيل المثال لا الحصر ، مستوى قوالب الوظيفة المعرفية (كاللغة و التعرف على الوجوه و غيرها) كما يصفها اللساني تشومسكي ، أو مستوى البنيات التشريحية للدماغ أو مستوى تنظيم بنية الخلية في خلايا عصبية منفردة" (12).

و يفترض جيرى فودور Jerry fodor من جهته أن اشتغال الذهن يتصل بالمدركات الموزة على منظومات متخصصة في معالجة المدركات البصرية و الأخرى في معالجة المدركات السمعية و ثالثة في معالجة المدركات اللغوية (13) كما يرى -أيضا- أن الذهن يحتوي على صنفين من الأنظمة: المدارية المتخصصة في التحليل و المعالجة عن طريق نظام معرفي يدعى القالب و أنظمة مركزية تعمل على مركزة المعلومات المدركة و مراقبة تألفها ، و ذلك بإدماجها في المعلومات المخزنة في الهن ؛ و يتكون هذا الأخير من أنظمة قابلة متخصصة ، كالقالب اللمسي و الشمي و اللساني و هدف هذا القالب هو التمثيل أو التمثيل La representation أي أن تشكل المعلومة يكون رمزيا أو تركيبيا على غرار اشتغال الأنظمة المركزية التي تتطلبها (14)، و تمر معالجة المعلومات اللغوية أو المرئية أو السمعية في الذهن البشري عبر: المحولة ، ثم النظام الطرفي ، ثم تعالج هذه الترجمة في منظومة متخصصة بمعالجة المعطيات التي تدركها هذه الحاسة ؛ و هنا يحدث تأويل أولي لهذه المعطيات ، و لا يكتمل في هذا المستوى حتى يتدخل النظام المركزي من حيث تربط النواقل العصبية المدركات المعالجة بهذه الأنظمة المقاصد و الخلفيات و الاعتقادات المستعملة لأغراض معرفية و سلوكية و ظروف عامة في الملفوظ ، و في الأنظمة المركزية تتم مهمة إتمام عملية التأويل عملية التأويل ، و تتحقق هذه المهمة من خلال مقارنة المعلومة مع معلومات أخرى معروفة سلفا ، أو معلومات وفرتها- في الآن ذاته- أنظمة طرفية أخرى ؛ كما تتحقق نتيجة عمليات استدلالية (15).

إذن ، ترتبط عملية اشتغال الذهن البشري بمدركات تتوزع على شكل منظومات كالمنظومات الإدراكية Perceptuels والمنظومات التصورية Conceptuels استجابة لتنبهات خارجية في الواقع. و لكل منظومة قالب خاص الذي يتكفل ببناء الأشياء و بلورة المدركات بواسطة الذهن الذي ينقلها إلى منظومة معالجة المدركات اللغوية التي تُقوّلها بدورها في قالب لغوي لساني خاص ، و تتكفل الأنظمة المركزية التي أعطاها فودور Fodor أهمية بالغة في البحث عن نمطية لتحقيق ذلك التفاعل بينها و بين عالم المدركات ليمظهر كل ذلك في نسق اللغة و إمكاناته المفتوحة على التأويل و تحقيق وظيفته الدلالية العرفانية.

3-3-مراكز اللغة في الدماغ:

تتوزع مراكز اللغة في الأيسر من الدماغ ، لكنها لا تنحصر في مكان واحد ، و ترتبط بواسطة خلايا عصبية خاصة ، و مراكز اللغة الرئيسية المعروفة حتى الآن هي:

1-منطقة بروكا Broca's area

سميت بهذا الاسم نسبة إلى الطبيب الفرنسي بول بروكا Paul broca الذي اكتشفها عام 1861م نتيجة تشريحه دماغ رجل مصاب بشلل في نصفه الأيمن منعه من الحركة و الكلام ، أي أنه كان مصابا بحبسة في الكلام أو الأفازيا الحركية Motor aphasia التي تقع في الحركة Motor area لتحكمها في حركة اللسان و الشفتين و الحنك و الحبال الصوتية و غيرها من أجزاء الفم الذي هو مصدر الكلام ، بل سمها بعض الباحثين مركز الكلام ، و هذه المنطقة موجودة في مقدمة النصف الأيسر من الدماغ أي في الفص الأمامي الجبهي الذي يتحكم في عضلات الوجه و الفك ز اللسان و الحنجرة ، و هو مسئول عن وظائف لغوية تحليلية مهمة ، خاصة استعمال المورفيمات الصرفية كعلامات الجمع و تصريف الأفعال و انتقاء الكلمات الوظيفية و بناء الجمل. و قد تبين من دراسات حديثة أن هذه المنطقة مسؤولة عن الفهم.

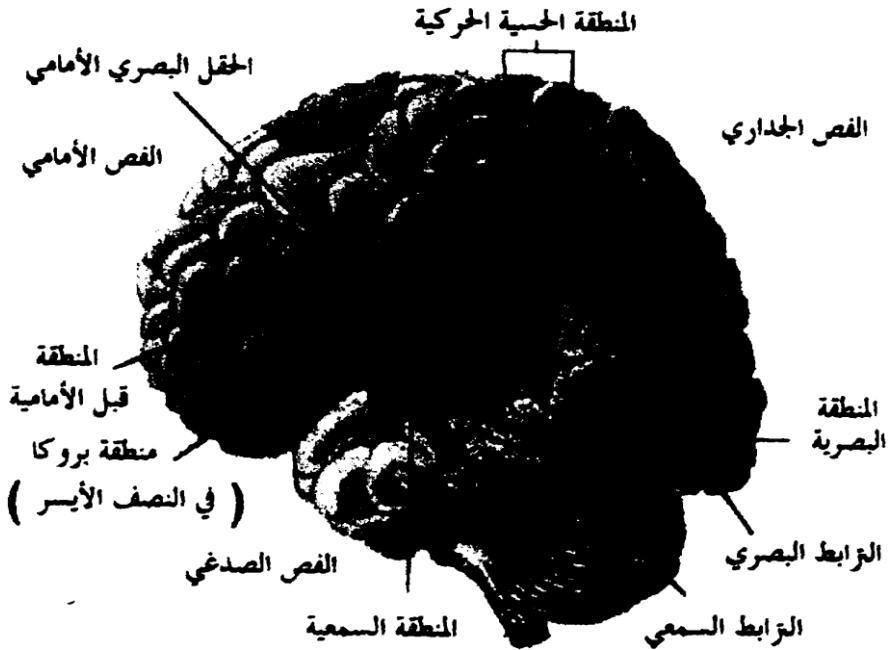
2-منطقة فيرنيك Wernike's area :

سميت بهذا الاسم نسبة إلى مكتشفها طبيب الأعصاب الألماني كارل فيرنيك Carl wernike عام 1874م و تسمى منطقة الحس Sensory area و تقع بالقرب من منطقة السمع في الفص الصدغي من القشرة الدماغية ، و يربطها بمنطقة بروكا حزمة من الألياف العصبية

المسماة بحزمة الألياف المقوسة Arcuate fasciculus و مهمة هذه المنطقة استقبال المدخلات السمعية و فهم معاني المفردات.

3-التلفيف الزاوية Angular gyrus :

و تقع خلف منطقة فيرنيك المسؤولة عن تحويل المثير البصري إلى شكل سمعي و العكس، و وظيفة هذه المراكز الربط بين شكل الكلمات المنطوقة وصورتها الذهنية المدركة و كذلك تسمية الأشياء و استيعاب الشكل المكتوب باللغة ، و كل ما تحتاج إلى الربط بين المثيرات البصرية و مناطق الكلام ، و الشكل التالي يوضح مناطق اللغة في الدماغ⁽¹⁶⁾.



أكثر ما يمكن أن نفهمه هنا أن مراكز اللغة ، على اختلاف تخصصاتها ، تلعب دورا مفصليا في كشف غوامض الكلام و فرض عناصره و ترتيب أجزائه لرسم الإطار الإحالي للكلام ، ولذلك انحصرت وظيفة منطقة التليفة الزاوية في إبراز العلاقة بين الدوال المدلولات و إدراك ما خفي من الدلالات العرفانية ؛ أما الوظيفة التصورية Conceptual Funtional متمثلة فيما يدور في الدماغ من تراحيح للمعاني المحتملة ؛ و دائما في إطار المرجعية الذهنية التصورية تبقى بقية المناطق (منطقة بروكا و منطقة فيرنيك) التي تفيد بقدرة على احتواء المعلومات بكيفية من الكيفيات الفيزيولوجية و فهم دلالة الكلام.

4-الاستعارة التصورية Conceptual metaphor :

اتخذت الاستعارة التصورية موقعا مهما في الدرس اللساني العرفاني لما تكتسبه من صبغة فيزيائية و جسدية و ثقافية متمثلة في ربط البنيات الدلالية Semantic structure بالبنيات التصورية conceptual Semantic و الكشف عن الآليات الداخلية لمعرفة مختلف الأنشطة الذهنية.

4-1-الاستعارة التصورية من منظور عرفاني :

تركز اللسانيات العرفانية على فكرة الاستعارة التصورية "كوسيلة لتصوير شيء من خلال شيء آخر ، و وظيفتها الأولى الفهم" (17) يقدم جورج لاكوف Georges lakoff و مارك جونسون Mark johnson رؤية جديدة و فهما آخر يختلف عن كثير من المفاهيم الاستعارية التي عرفتها البلاغة الغربية و العربية على حد سواء ، هذه الرؤية التي دحضت أفقا بلاغيا سيطر على الملامح الجوهرية المشكلة للاستعارة لعقود طويلة ؛ فلم تعد الاستعارة موهبة أو قدرة على رؤية التشابهات أو علاقات استبدالية أو انحراف عن النمط الاعتيادي للاستعمال اللغوي ، بل أصبحت عملية إدراك و فهم تصورات مجردة من خلال تصورات ملموسة متجذرة في نسقنا التجريبي الثقافي ؛ فالاستعارة ، إذن ، لا ترتبط باللغة أو بمحمول الألفاظ ، و إنما ترد في أصولها الخفية إلى البنية الذهنية الفكرية المرتبطة بالمحيط السوسيو ثقافي للفرد ، و هذه الحركة التصورية الاستعارية ذو ملامح نسقية من شأنها أن تُعين على رسم حقول دلالية تساعد على تصنيف الدلالات العرفانية للصيقة بالاستعمال الفردي و بتجربته الفيزيائية و تصورات الثقافية

؛ و بذلك يتضح لنا "أن الاستعارة حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية ؛ إنها ليست مقتصرة على اللغة ، بل توجد في تفكيرنا و في الأعمال التي نقوم بها أيضا ، إن النسق التصوري العادي الذي يسير تفكيرنا و سلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس" (18) ، و على هذا الأساس لم يعد أمر الاستعارة لغويا بحثا ، و إن كان أساسيا فيها ، إنما باقي أجزائها ترتد أساسا إلى بنية التفكير المجازية بغية فهم الأشياء المجردة من خلال أشياء ملموسة .

4-2-أنماط الاستعارة التصويرية:

إن موقف لاكوف Lakoff وجونسن Johnson من طبيعة اشتغال المعنى الاستعاري هو أفق لساني بَحَثَ فيه عن الممارسات الإفهامية و التفهيمية ، و عن الآليات التي تأخذ بالمعطيات النسقية و اللغوية و بالنسق التصوري العادي الذي يحدد إدراكنا و تفكيرنا و سلوكنا اليومي . و قد نتج عن هذا الموقف النسقي التصوري للاستعارة ثلاث أنماط من الاستعارة يقتضي المقام الإشارة إليها و هي كالآتي:

أ-الاستعارة الاتجاهية *Orientational metaphor* :

يقرر كيكوف و جونسن أن الاستعارات الاتجاهية هي عبارة عن نسق كامل من التصورات المتعلقة ، أغلبها يرتبط بالاتجاه الفضائي: عال ، مستقل ، خارج ، داخل ، أمام ، وراء ، فوق ، تحت ، عميق ، سحي ، مركزي ، هامشي (19) إلا أن هذا التصور الفضائي يستجيب لمقتضيات التجربة الفيزيائية و الثقافية للفرد و يزيد من هذه الإمكانيات الاتجاهية ، و يقدم في ذات الوقت ، شبكة من العلاقات النسقية التجريبية يتحقق من خلالها مبدأ المقصدية والانسجام ؛ فقولنا: "السعادة فوق " ، هو الذي يبرر وجود تعابير من قبيل 3أحس أنني في القمة اليوم" (20).

ب- الاستعارة البنيوية Structural metaphor :

و هي أن يُبَيَّن تصوُّر ما استعاريا بواسطة تصور آخر⁽²¹⁾؛ إن مقولة: "الحرب جدال"، تجعل سلسلة من تداعي المعاني تقفز إلى ذهن الفرد، أهمها أن ثمة صراع كلامي بين طرفين يسعىان إلى استخدام أدواتهم اللغوية و آلياتهم الحجاجية موظفين معرفتهم و قدراتهم ، و ما ينساق مع مجريات الأخذ و الرد و الاعتراض و القبول و الرفض ، لإقامة الحجة ثم تحقيق النصر و دحض العدو ؛ لذلك تنماز الاستعارة بأقوى الآليات الاستدلالية التي يتسلح بها الفرد لفهم مجال بمجال آخر ، فهي "لا تكتفي بأن يكون لها أساس داخل تجربتنا الفيزيائية و الثقافية إنها تؤثر-أيضا- في تجربتنا نفسها و في سلوكنا"⁽²²⁾.

ج- الاستعارة الانطولوجية Ontological metaphor :

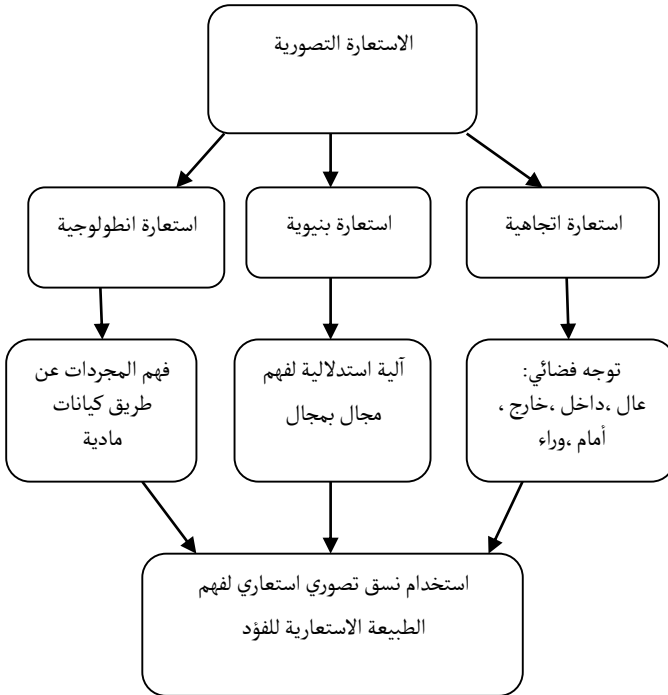
تقوم الاستعارة الانطولوجية على نسبة ما هو مجرد انطلاقا مما هو محسوس ، وتمنحنا طرقا للنظر إلى الأحداث والأنشطة والأفكار والإحساسات ، باعتبارها كيانات ومواد⁽²³⁾و. للاستعارات الانطولوجية مسوغات جمّة و بواعث فاعلة و مختلفة؛ و هذا الاختلاف هو الذي يدفعنا لاستخدام الاستعارة الانطولوجية التي تتحاور بشكل موجب مع تداعيات الأحداث (events) والأعمال (actions) والأنشطة (activities) و الحالات (states)؛ فنحن "نتصور الأحداث والأعمال استعاريا باعتبارها أشياء ، والأنشطة باعتبارها مواد ، و الحالات باعتبارها أوعية فنقول ، مثلا ، بصدد سياق ما :

-إنه خارج السباق الآن (السباق شيء/وعاء)⁽²⁴⁾

و يتخذ هذا النوع من الاستعارة أشكالا لغوية تتحقق وفق متطلبات الحاجات بكل تصنيفاتها الفكرية و الثقافية و الاجتماعية ؛ و يتضح ذلك من خلال الأمثلة التالية⁽²⁵⁾:

-التضخم ، نحو: يلتهم التضخم جزءا كبيرا من عائداتنا.

- الإحالة ، نحو: شرف وطننا في خطر بسبب هذه الحرب
 - التكميم ، نحو: يوجد كثير من الحقد في هذا العالم.
 - تعيين المظاهر ، نحو: لقد تدهور الجانب النفسي في صحته.
 - تعيين الأسباب ، نحو: ثقل مسؤولياته سبب انهياره.
 - تحديد الأهداف ، نحو: هذا ما يجب أن تقوم به لتأمين الضمان المالي.
- و يمكن تلخيص هذه المقاربة المعرفية التفاعلية حول مفهوم الاستعارة التصويرية و اتجاهاتها المتباينة في الأشكال التالية:



إن من أهم ما يمكن استخلاصه من خلال بسطنا لطبيعة الاستعارة التصويرية و أنساقها التعبيرية المختلفة ؛ أن الاستعارة التصويرية هي أكثر من أن تكون مجرد أسلوب تعبري صرف ، و إنما هي جزء من البنية التصويرية للإنسان ، بل هي حركية الذهن في تحقيق الروابط المفصلية بين المستوى التجريدي و المستوى العملي ، بين قواعد النظام اللغوي بمختلف أنساقه المعجمية و الدلالية و السياقية ، و الوعي بإدراك هذا المسوغ اللغوي المرشح إنتاج حقول دلالية عرفانية تكشف عن معجم بيئة الفرد تفكيره و ممارسته اليومية. هذا فضلا عن أن فهم الاستعارة التصويرية يتم عبر الخلفية الابستمية للنسق اللغوي المؤسس لثقافة الفرد المتجذرة في نسقه المعرفي و التجريبي و المرتبط مع البنية الذهنية المجازية التي تزود الواقع المتبدل بآليات المقاربة المعرفية.

5-الخاتمة:

ثمة عدة إشكالات جوهرية تعترضنا و نحن نستعرض مختلف الحقائق العلمية والنظريات اللسانية التي ترشح الحقل اللساني العرفاني على التوسع و الانفتاح أكثر إلا أن بعض الحقائق العلمية خاصة ما يمس علم اللسانيات العصبية تبقى نسبية في محورها المشهدي الشامل ؛ و أهم ما يمكن تحديده من ضمن نتائج هذه المقاربة المتواضعة ما يلي:

- 1-إن المنحى الاتساعي الذي يسم اللسانيات العرفانية يكمن في محاولة معرفة التركيب العصبي للذهن البشري و كيفية اشتغاله.
- 2-تبقى اللغة في البحث اللساني العرفاني نواة مركزية في البنية الذهنية و التصويرية التي هي نتاج تفاعلها مع تجربة الفرد الفيزيائية و الثقافية.
- 3-إن التحليل اللساني الذهني مرتبط بالبحث عن مركز اللغة في الدماغ المسؤولة في تحديد مواقع الفهم و التأويل.
- 4-يتكون الدماغ من من مجموعة ملكات ، لكل ملكة قالب خاص ، ذا وظيفة علائقية ، محتكمة إلى نظام متجانس في إقامة الروابط الضرورية بينه و بين مدركات الواقع.
- 5-إن التصورات الاستعارية ذو طبيعة نسقية ، فأى تغير يمتد إلى بنية التصور ، يؤثر على بنية الدلالة العرفانية.

6- لم تعد الاستعارة تعتلي حقل الاستعمالات اللغوية و الاعتناء بالعبارات و الجمل ، و إنما أضحت ، بارتباطاتها الذهنية ، نسقا تصوريا استعاريا في جوهره.

6-مصادر البحث و مراجعه:

- 1-الزنا الأزهر: نظريات لسانية عرفانية ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، دار محمد علي للنشر ، تونس ، 2009.
- 2-آن روبول و جاك موشلار: التداولية اليوم ، علم جديد في التواصل ، تر/سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني ، المنظمة و العربية للترجمة ، بيروت ، لبنان ' ط1 ، 2003.
- 3-جورج لايكوف ومارك جونسون: الاستعارات التي نحيا بها ، تر/عبد المجيد جحفة ، دار توبقال للنشر ، ط2 ، 2009.
- 4-عبد الرحمان طعمة أحمد: النظرية اللسانية العرفانية ، دراسات استيمولوجية ، دار رؤية للنشر ، القاهرة ، مصر ، 2009.
- 5-عبد العزيز بن ابراهيم العصيلي: علم اللغة النفسي ، منتدسور الأزبكية ، المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 2006.
- 6-عطية سليمان أحمد: اللسانيات العصبية ، اللغة في الدماغ ،(رمزية ، عصبية ، عرفانية) ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة ، مصر ، 2019.
- 7-عبد السلام عشير إشكالات التواصل و الحجاج ، مقارنة تداولية و معرفية ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة ، المغرب ، 2000.
- 8-لايل جنكنز: اللسانيات الأحيائية ، استكشاف أحيائية اللغة ، تر/عبد الرحمان بن محمد منصور ، دار جامعة سعود للنشر ، 2015.
- 9-زيناب بوبوفا وجوزيف سيترنين: اللسانيات الإدراكية ، تر/تحسين رزاق عزيز ، بيت الحكمة ، بغداد ، سلسلة كتب ثقافية ، العدد 2012 ، 40.

7-المجلات:

- 1-عبد الرحمان طعمة أحمد: بيولوجيا اللسانيات ، مدخل للأسس البيوجينية للتواصل اللساني من منظور اللسانيات العصبية ، مجلة الممارسات اللسانية ، جامعة تيزي وزو ، العدد 37 ، 2016 ، الجزائر .
- 2- فيفيان ايفاترو ميلاني جرين: طبيعة اللسانيات الإدراكية ، تر/عبد العزيز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مجلة فصول ، المجلد 4 ، ع 2007 ، 100.

8-الهوامش و الإحالات:

- 1-عبد الرحمان طعمة أحمد: بيولوجيا اللسانيات ، مدخل للأسس البيوجينية للتواصل اللساني من منظور اللسانيات العصبية ، مجلة الممارسات اللسانية ، جامعة تيزي وزو ، العدد 37 ، 2016 ، الجزائر ، ص11.

- 2- زينايدا بوبوفا و جوزيف سيترنين: اللسانيات الإدراكية ، تر/تحسين رزاق عزيز، بيت الحكمة بغداد ، سلسلة كتب ، ثقافية ، العدد 2012 ، 40 ، ص 111.
- 3- عطية سليمان أحمد: اللسانيات العصبية ، اللغة في الدماغ ، (رمزية ، عصبية ، عرفانية) ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة ، مصر ، 2019 ، ص 327.
- 4- المرجع نفسه ، ص 328.
- 5- الزناد الأزهر: نظريات لسانية عرفنية ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، دار محمد علي للنشر ، 2009 ، ص 33.
- 6- فيفيان إيفاتر و ميلاني جرين: طبيعة اللسانيات الإدراكية ، تر/عبد العزيز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مجلة فصول ، المجلد 4 ، العدد 2017 ، 100 ، ص 38.
- 7- الزناد الأزهر: نظريات لسانية عرفنية ، مصدر سابق ، ص 33.
- 8- عطية سليمان أحمد: اللسانيات العصبية ، مرجع سابق ، ص 141.
- 9- عبد الرحمان طعمة أحمد و أحمد عبد المنعم: النظرية اللسانية العرفانية ، دراسات إبستمولوجية ، دار رؤية للنشر ، القاهرة ، مصر ، 2019 ، ص 17.
- 10- عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي: علم اللغة النفسي ، منتدى سور الأزيكية ، المملكة السعودية ، ط 2006 ، 1 ، ص 154.
- 11- المرجع نفسه ، ص 155/156.
- 12- لائل جينكنز: اللسانيات الأحيائية ، استكشاف أحيائية اللغة ، تر/عبد الرحمان بن حمد المنصور ، دار جامعة سعود للنشر ، 2015 ، ص 118/119.
- 13- آن روبول و جاك موشلار: التداولية اليوم ، علم جديد في التواصل ، تر/سيف الدين دغفوسو محمد الشيباني ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2003 ، ص 74/75.
- 14- عبد السلام عشير: إشكالات التواصل و الحجاج ، مقارنة تداولية و معرفية ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة ، المغرب ، 2000 ، ص 25.
- 15- آن روبول و جاك موشلار: التداولية اليوم / مرجع سابق ، ص 74.
- 16- عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي: علم اللغة النفسي ، مرجع سابق ، ص 150.
- 17- جورج لايكوف و مارك جونسون: الاستعارات التي نحيا بها ، تر/ عبد الحميد جحفة ، دار توبقال للنشر ، ط 2 ، 2009 ، ص 56.
- 18- المرجع نفسه ، ص 22.

- 19-المرجع نفسه ،ص34.
- 20-المرجع نفسه ، ص34.
- 21-المرجع نفسه ، ص 33.
- 22-المرجع نفسه ،ص87.
- 23-المرجع نفسه ،ص46.
- 24-المرجع نفسه ،ص48.
- 25-المرجع نفسه ،ص46/47.

